صراع الهويات في روايات سمير نقاش

*الباحثة: طيف سمير حسان أ. م. د. سعد داحس ناصر

taif201620@gmail.com sdahis@uowasit.edu.iq

جامعة واسط/ كلية الآداب/ قسم اللغة العربية

تاريخ الاستلام : 2021-09-17

تاريخ القبول : 2021-12-20

ملخص البحث:

أن تأكيد الهوية في الغالب يحقق الأمان ويحفظ كرامة الإنسان ويؤكد ذاته، فالإنسان يولد وقد ألصقت به علامات ليست من اختياره مثل: مكان ولادته، واسمه، وعشيرته، وجنسيته، ولغته، ودينه، وطائفته، وغيرها من العلامات التي هي ليست من اختياره، ولكن حين ينضج لن تبقى هويته على الصورة نفسها، بل ستنشأ له هويات أخرى جديدة باختياره أو بحكم الظروف المحيطة به، وترتبط هويته بالجماعة والمكان والسلطة.

الكلمات المفتاحية: الهوية، الاقتلاع، التهميش، الصراع، الانتماء، الهجرة.

The conflict of identities in the novels of Samir Naqqash

Taif Samir Hassan MA Student Assistant professor Saad Dahis

Taif201620@gmail.com sdahis@uowasit.edu.iq

Wasit University/ College of Arts/ Department of Arabic Language

Receipt date: 2021-09-17

Date of acceptance: 2021-12-20

Abstract

Confirmation of identity in most cases achieves safety, preserves human dignity and asserts himself. A person is born with signs that are not of his choice, such as: place of birth, name, clan, nationality, language, religion, sect, and other signs that are not of his choice. As he matures, his identity will not remain in the same image, but other new identities will arise for him by his choice or by virtue of the circumstances surrounding him, and his identity is linked to the group, place and authority.

Keywords: identity, uprooting, marginalization, conflict, belonging, migration.

المقدمة:

يعد تأكيد الهوية من أهم الوسائل في إثبات الذات، وتسهم في الإعلاء من شأن الأفراد في المجتمع، إذ هي تلازم الفرد من ولادته وحتى مماته، وهي أيضاً تعكس صورة الفرد في المجتمع من ناحية اللغة والثقافة والدين وتساعد الإنسان في التواصل مع الآخرين سواء في المجتمع نفسه أم مع المجتمعات الأخرى المختلفة.

صراع الهويات:

إن السعي وراء الهوية هو نزعة ذاتية واجتماعية للبحث عن المكانة، والإحساس بان الفرد جزءٌ من الجماعة، وبوساطة الهوية ينماز الفرد من باقي الأفراد وتمتاز الجماعة من الجماعات الأخرى، إذن، فمعنى الهوية هو التمييز، تميز الأفراد والجماعات بعضها عن بعض وبوساطة محددات ثقافية (ينظر: سعد محمد، ٢٠١٨، ٢٧)؛ لأن الهوية تمنح للفرد حق الانتماء لمجتمع ما، وعدت هجرة اليهود من العراق إلى إسرائيل في عام ١٩٥٠ نوعاً من الاقتلاع من مكان عاشوا فيه طويلا، وقد بَين بعضهم أن هذه الهجرة كانت قسرية لأسباب سياسية مبهمة، شبهها بعضهم بنفي بابلي ثانٍ، وذلك يناقض الرواية الشائعة القائلة بان إعادة اليهود إلى (أرض الميعاد) تحرير لهم من شتات طويل، إذ نجد تنازع في صلب مفهوم الهوية اليهودية (ينظر: سعد محمد، ٢٠١٨، ١٥٨).

وامتازت الكتابات العراقية بالحنين لوطنهم الأم العراق، فنرى الروائي (سمير نقاش) عندما هاجر هو وعائلته من العراق، كان له هذا الموضوع بمثابة صدمة أثرت في سنوات حياته اللاحقة وتركت بصمة فيها لا تُمحى، وانعكست فيما بعد في الآفاق الواسعة لخياله الفكري وتعلقه العاطفي بوطنه الأم العراق (ينظر:عبد الله إبراهيم، ١٤٥,٢٠١١)، فكان البحث عن الهوية من أهم القضايا السائدة في كتاباته، إذ سببت له هذه الحالة أزمة نفسية وعذاباً روحياً من وقت وصوله إلى إسرائيل وحتى وفاته، ولم يستطع أن يتأقلم مع المجتمع الجديد على أنه يهودي إسرائيلي، ويترك هويته السابقة يهودي ولد في العراق، فوجد صعوبة بالغة في الانتماء إلى المجتمع الإسرائيلي (ينظر: مازن لطيف، ٢٠١٧، ٢٨)، فلم يغير لغته ولا ثقافته. وعلى الرغم من وجود (سمير نقاش) في بيئة تحتم عليه التغيّر، فأنه أصر على الثبات والكتابة باللغة العربية، ويصرح بشعوره بعدم الانتماء لأية أرض؛ لأنه مقتلعٌ من أرض العراق.

ونلاحظ أن شخصيات أعماله دائماً ما يكونوا في حالة من الضياع، وعدم الانتساب إلى أرضهم الأم، ويعيشون في بيئة غير بيئتهم، ويفتقدون الانتماء لأوطانهم، وعلى الرغم من ذلك، فأنهم يعتزون بهويتهم، ونلاحظ أن محاور الهوية في روايات (سمير نقاش) تنقسم إلى ثلاثة وهي: (الهوية الدينية، والهوية الثقافية، والهوية الوطنية) سنتناولها بالترتيب لنوضح أهم ما جاء فيها:

أولاً / الهوية الدينية

وتعرف الهوية الدينية بأنها "مجموعة العقائد والمبادئ والخصائص والترميزات التي تجعل أمة ما تشعر بمغايرتها للأمم الأخرى" (بكار، ٢٠٠٠، ٦٩-٧٠)، أي أن لكل ديانة هنالك عبادات وطقوس تميزها من الديانات الأخرى سواء أكانت في البلد نفسه أم في أي بلد آخر، واتخذت الديانة اليهودية عدّة ترميزات في طقوسها، ومنها ما ورد في الروايات للتمسك بالهوية الدينية، كما في شهادة التوحيد والاعتراف بوحدانية الله التي هي: (شماع يسرائيل) ووردت في سفر (التثنية) بمعنى إسمع يا إسرائيل الرب إلهنا إله واحد، هي شهادة التوحيد اليهودية ويتلوها المصلي مرتين في اليوم صباحاً ومساءً (ينظر: شماع يسرائيل-hartaque blog.tumblr.com). ولا بد من أن ينطق بعبارة التوحيد قبل الموت، و(الشماع) تبدأ بخطاب إلى الأمة جميعاً مما يسقط بتاتاً فكرة الفرد والضمير والمسؤولية الخلقية، ففكرة الضمير تتنافى مع فكرة الجماعة القومية ثم ينتقل (الشماع) بعد ذلك لتأكيد أن (الرب إلهنا). واستعمال ضمير الملكية في سياق الديانة اليهودية له دلالة قومية عميقة فهو يخصص الإله ويجعله مقصوراً على اليهود وعلى أنه إله واحد، لذلك فإن البنية الكامنة لـ (شماع) تدل على أنه آية التوحيد اليهودية (ينظر: السعدي، ١٩٩٤، ٥٨)، وقد ذكرت هذه العبارة في رواية (نزوله وخيط الشيطان) على لسان (سلمان حشوة) وهو يردد الشهادة بعد أن استيقظ من النوم مفزوعاً "شماع يسرائيل!.. شماع إسرائيل!.. شماع يسرائيل!.. الف مرة شماع يسرائيل" (نقاش، ٢٠١٢، ٢٨٧). يردد (سلمان) في هذا الدعاء شماع إسرائيل، أي أسمع يا إسرائيل الله واحد، يرتلها ليطمئن قلبه بعدم عودة مخاطر حادثة (الفرهود) من جديد، ولتأكيد هويته الدينية.

ونلاحظها في رواية (فوة يادم) أيضاً لتأكيد الهوية الدينية، والاستعانة بها للنجاة من الموت "إسمع إسرائيل.. الله إلهنا، الله واحد" (نقاش، ٢٠١١، ١٩٣). إن (متانة سبير) قد استعمل هذه العبارة لكي يتخلّص من خوف الموت الذي سيطر عليه، بعدما ضلّ الطريق في المقبرة إثر عودته إلى البيت، فردد العبارة ليطمئن قلبه.

وتكررت هذه الجملة في رواية (شلومو الكردي وأنا والزمن)، وذلك بعد أن سجن الشاه (شلومو) في طهران: "شماع يسرائيل شهادتنا وإقرارنا بوحدانية الله، وبهذا سنحسم الأمر، إنهم يعلموننا هذا منذ المهد ونظل نردده حتى اللحد" (نقاش، ٢٠٠٤، ١١٧). إن هذه العبارة التي ذكرها (شلومو) أراد عن طريقها معرفة هويته الرجل الذي ساعده وهو في السجن، وهل هو من طائفته؟ وكرر هذه العبارة أيضاً للدلالة على التمسك بالهوية الدينية، والاعتراف بشهادة الله وحده.

نلاحظ أن الروايات قد استعملت الدعاء نفسه، ولكن في كل واحدة منها جاء ليحمل غاية معينة، للدلالة على شيء محدد، فضلاً عن تأثيره في نفس اليهودي الذي اختلف من حالة إلى أخرى.

وما يؤكد الهوية الدينية في الروايات، ذكر (التيفيلين) الذي هو: "كلمة آرامية تعنى ربط، والتيفيلين عبارة عن صندوقين صغيرين من الجلد الأسود يثبتهما اليهودي البالغ بشرائط من الجلد على ذراعه الأيسر مقابل القلب، وعلى جبهته مقابل المخ، وذلك أثناء الصلوات الصباحية كل يوم، فيما عدا أيام السبت والأعياد" (السعدي، ١٩٩٤، ٤٦). ويعد من مستلزمات أداء العبادات في الديانة اليهودية، "ويحتوي الصندوقان على فقرات من التوراة من بينها شهادة التوحيد، ويكون ارتداء التيفيلين بعد ارتداء (الطاليت)، فتوضع تفيلاه الذراع أولاً ثم تفيلاه الرأس وتتلى الصلوات في أثناء وضعها" (عبد الله إبراهيم، ٢٠١١، ١٤٠). ويعطي اليهودي أهمية كبرى لـ (تيفيلين) ويعتبرها عاصمة من الخطأ ومحصنة ضد الخطايا، وإذا حدث ووقع (التيفيلين) على الأرض فينبغي على الشخص أن يصوم اليوم كاملاً (ينظر: السعدي، ١٩٩٤، ٤٦). وقد ورد ذكر (التيفيلين) في رواية (نزوله وخيط الشيطان)، إذ نرى (يعقوب) دائما ما يرتدي هذا الحرز للحماية والالتزام بتعاليم الدين اليهودي "وحتى لو أن هذا البيت قبر، والفجر قيامة، فيعقوب ابن عمام سيكون أيضا أول من يستيقظ فيه، قام والآخرون نيام. ولبس (تفليم) في أيام الدوم يصلي الفجر صلاة الفرد في المنزل" (نقاش، ٢٠١٢، ١١١). إن النص يشير إلى التزام (يعقوب) بإقامة الصلوات، وتأكيد هويته اليهودية، فهو لا يخرج من البيت إلا وربط (التيفيلين) بيده.

وعُدّ (التيفيلين) في رواية (شلومو الكردي وأنا والزمن) بمثابة الحصن لـ (شلومو) لحمايته من مخاطر الموت والحرب "تزودت بالمأكل والمشرب، وبصصيدي وتفليمي ومصحف صلواتي، وعدت ووعدت كل من في البيت، ثم توكلت على الله" (نقاش، ٢٠٠٤، ١٠٦). إن (شلومو) عندما سافر إلى طهران لمقابلة (الشاهنشاه) يتزود بالطعام الحلال، ويتسلح بعدة الإيمان لحمايته

من مخاطر الطريق، عن طريق حمله الحرز والكتاب المقدس، فكان (التيفيلين) عبارة عن حصن يتحصن به اليهودي من الخطأ.

ثانياً / الهوية الثقافية

إن الهوية الثقافية تكون ملازمة للفرد في كل مكان، وتختلف من بلدٍ إلى آخر، ونلاحظ أن اللغة والدين والعادات والتقاليد من: مأكل وملبس وألعاب وممارسات اجتماعية وتراث من أهم عناصرها، وكانت رواية (نزوله وخيط الشيطان) من أكثر الروايات احتواءً للرموز الثقافية، التي تمثل المجتمع البغدادي في أربعينيات القرن الماضي عن طريق لغة الرواية والعادات والطقوس والشخصيات، لتؤكد الهوية الثقافية.

وتعد اللغة من أهم مقومات التمسك بالهوية الثقافية، إذ نجد الروائي (سمير نقاش) قد استعمل في رواياته اللهجة اليهودية البغدادية إلى جانب اللغة الفصيحة واللهجات الأخرى؛ لأن "تمسك سمير نقاش باللغة العربية مرتبط أيضاً ارتباطاً وثيقاً ببحثه عن الهوية" (مازن لطيف،٢٠١٧، ٢٧)، ويذكر الروائي سبب اختياره اللغة العربية واللهجة المحكية في رواياته، فيقول: "إنني أعشق هذه اللغة التي نطقت بها أول ما نطقت، وأستطيع بواسطتها التعبير عن دواخلي بشكل أفضل، فلماذا أقيد نفسي بلغة أعرف عنها أقل، وهي العبرية؟ ثم أنها تؤكد انتمائي العضوي إلى أصلي العراقي العربي. العربية هي أقوى معداتي التعبيرية، في عالم يكاد يفلس لغوياً، ويفتقر إلى الكلمات بشكل خطير" (مازن لطيف،٢٠١٥، ٩٦).

وعبّرت اللغة أيضاً في رواية (نزوله وخيط الشيطان) عن مزيج من الثقافات المختلفة في بلدٍ واحدٍ، وقد أضافت إلى الرواية سحراً خاصاً، فنجد فيها اللهجة اليهودية والمسيحية والإسلامية، كما استعمل الروائي عبارات فارسية وهندية ضمن أحاديث (خوشي الإيراني) و(كرجي ناتي)، ونرى أيضا فيها لغة الموسيقيين، ومصطلحات تخص المهن والحرف التي تمارسها الشخصيات في الرواية (ينظر: نقاش، ٢٠١٢، ٩)، مما جعلها تمتاز بلهجاتها المتنوعة التي تمثل هوية ثقافية لوطن واحد، وقد وضع الروائي معاني المفردات باللغة الفصيحة في هامش الرواية، فقد ذكر الروائي ذلك بقوله: "وقد استخدمت اللغة النموذجية لكل جماعة كتبت عنها، سواء كان الشخص إسكافياً، أو مثقفاً، أو موسيقياً، أو عاهرة. وعلى الكاتب أن يحرص على أن يميز القارئ خلفيات الشخصيات من طريقة كلامها" (مازن لطيف، ٢٠١٥، ٧٣)؛ لذلك تعد الكتابة باللغة العربية، ولاسيما اللهجة اليهودية البغدادية من أهم مقومات الهوية الثقافية اليهودية ورموزها في الرواية.

وكان للمكان دور في الهوية الثقافية، فالبيت البغدادي يمثل ثيمة ثقافية اجتماعية لما يحمل من فنون هندسية ومعمارية، كما في الرواية نفسها، إذ نرى البيت يحتوي على فضاء واسع وعام (حوش)، وتحيط به غرفٌ، ويضم تجمعاً سكنياً من مختلف الأطياف، ولا تتوفر هذه الميزة إلا في البيئة العراقية، للدلالة على التنوع الاجتماعي والثقافي، فالاحتفاء بمعمارية البيت البغدادي بطارمته وسردابه وشرفته وتفاصيله المقترنة به مثل الشوارع والأسواق والدكاكين جاء لتأكيد هوية ثقافية، والشعور الدائم بالانتماء (ينظر: خالدة حاتم، ٢٠١٤، ٣١٨، وينظر: شيماء فاضل، ٢٠١٩، ٢٠١).

ويُعد المقهى موروثاً ثقافياً أيضاً لمّا يحمل من دلالات شعبية وثقافية كما في رواية (فوة يادم)، إذ جاء فيها ما يستعمل في هذا المكان من أدوات خاصة به "يضيع في زحمة الاوجار بين قوريات ودلات القهوة واستيكانات الجاي" (نقاش، ٢٠١١، ٢٦)، إن النص يشير إلى معدات بسيطة موجودة في كل مقهى لكنها تصف حالته المائزة وشكله الثابت.

وجاء في بعض الروايات ذكر بعض الطقوس اليهودية التي تمثل الهوية الثقافية، كما في رواية (نزوله وخيط الشيطان)، عندما احتفلت الشخصيات بعقد إلياس "دي شاؤل؟!.. خذو الحلقون والكعكات بالعجل. السّعة حبلت بطنم والنيك بالبتاوين.. المسا عندم عقد إلياس" (نقاش، ٢٠١٢، ٥٠٦). ذكر الراوي هذه المناسبة للدلالة على الاحتفاظ بالهوية الثقافية، فكانت طقساً "يمارسه اليهود عشية الطهور أي في أمسية اليوم السابع للمولود، فيعقد فيه الآس على كرسي الياهو النبي الشاعر المعروف، إن الياهو هو خضر إلياس ومن العادة أن يوزع في هذه الليلة قطع اللقم والكعكات" (نقاش، ٢٠١٢، ٥٠٦).

ويعد الملبس أيضا ضمن عوامل إثبات الهوية الثقافية، كما يُعد من أهم "عناصر الثقافة المادية التي تحدد – ظاهرياً على الأقل– انتماء الفرد إلى جماعة ثقافية أو عرقية معينة، وينعكس ذلك بصورة واضحة في التنوع الهائل في الخامات المستخدمة في صنع الملابس، وهو تنوع يرتبط عادة بتنوع البيئات الجغرافية التي يعيش فيها الإنسان، كما ينعكس في تنوع الألوان والطرازات، التي يكون لمنظومة القيم الثقافية السائدة دورٌ كبيرٌ في اختبارها" (فؤاد غازي، ٢٠١٣، ٤٤٩).

وللملبس دور كبير في الروايات، ولاسيما في رواية (نزوله وخيط الشيطان)، إذ يشير الملبس إلى المرأة المحتشمة في ذلك الوقت كما في (عمام أم يعقوب)، التي كانت رمزاً للمرأة الطيبة الصالحة والوقورة "هي من (أهل الله) وفي البيت تقعد (بالشقصة) والفوطة.. لا تبرحه إلا بالخيلية والأيزار" (نقاش، ٢٠١٢، ٤٧). إن النص يشير إلى ملابس كانت تلبسها النساء اليهوديات، مثل: الشقصة وهي عصابة الرأس، والخيلية، والإيزار، وهي من أزياء النساء في بغداد القديمة، ولاسيما اليهوديات

منهن. وإزار اليهوديات في بغداد كان يصنع غالبا من الحرير وتزركش حواشيه بخيوط ذهبية أو فضية وهو يغطي الجسم كله من الرأس إلى القدمين، أما الخيلية، فحجاب مربع الشكل منسوج من شعر أذناب الخيل (ينظر، نقاش، ٢٠١٢، ٤٧). إن وصف زي (عمام) يشير إلى هوية ثقافية، ويمثل طريقة ملبس نساء عصرها وانتمائهن.

وإن للبس العباءة في الروايات دوراً مهماً في تأكيد الهوية الثقافية، ففي ذلك الوقت "كانت المرأة لا تخرج من بيتها إلا بعباءتين، حيث تضع أحداهما على كتفها والأخرى على رأسها وهي لا تبصر طريقها إلا من خلال ثقب صغير أو من وراء غطاء يسمى (البوشيه)" (الوردي، ١٩٦٥، ٢٨٠). وقد كان هناك ثلاث وظائف للبس العباءة في الروايات هي:

– الأولى / وظيفتها في الهروب والتحرر، كما في رواية (نزوله وخيط الشيطان) في شخصية (آمنة) التي استعملت عباءتها للخروج من البيت "وعباتي مثوى الأسرار. تنوب الخفية عن المكشوف، وتعلو عليه. ومررت امام دكانه في سوق الشورجة بين جمهرة رجال ونساء. مرت امرأة بعباءة تتكسر حذو عينية. اقتلعت العينيين" (نقاش، ٢٠١٢، ١٣٦). استعانت (آمنة) بالعباءة للهروب من البيت الذي سجنها أخوها فيه، إذ مرّت من أمام دكانه بالعباءة ولم يتعرف عليها؛ لأنها متخفية فيها، فاتخذتها وسيلة سهلة للخروج من غير علم إخوانها.

– الثانية / وظيفة في التخفي المشبوه عن أعين الناس، كما في رواية (فوة يادم) في شخصية (درويس) التي تُحقق مرادها عن طريق لبسها العباءة "تنطرنا لدرويس في أول الشارع. خرج شبح امرأة متلفعة بعباءة سوداء.. تتلفت" (نقاش، ٢٠١١، ٧٨). كانت (درويش) تتخفى في العباءة، وتتلفت حتى لا يراها أحد، فاتخذت من العباءة وسيلة حتى لا تتكشف خيانتها لزوجها (خليف)، وتحقق رغباتها ولا يراها أحد.

– الثالثة / وظيفتها في الحشمة والستر، كما في رواية (شلومو الكردي وأنا والزمن)، في شخصية (أسمر)، إذ ذكر الراوي العباءة للدلالة على حشمة هذه المرأة اليهودية وهي بوضع متأزم "واجتازت أسمر بعباءتها باب الشيخ تعدو في شارع غازي المفعم بالقتلة والمقتولين" (نقاش، ٢٠٠٤، ٥٩). إن الراوي قد صور (أسمر) وهي خارجة للبحث عن (شلومو) في أحداث (الفرهود) وهي ترتدي العباءة، وعلى الرغم من خوفها على (شلومو) من القتلة، وصعوبة وضعها واضطرابها في تلك اللحظة، فإنها بقت متمسكة بعباءتها للدلالة على شدة التزامها وحشمتها حتى في أصعب الظروف.

وتعد الألعاب الشعبية أيضا جزءاً لا يتجزأ من الموروث الثقافي والشعبي، ولها مكانة خاصة في ذاكرة الروائي (سمير نقاش) فيذكرها في رواية (نزوله وخيط الشيطان) لتوثيق التراث الثقافي، كما في لعبة (لعب كعاب) "ها عيني خلصت لعب اجعاب بالدرب" (نقاش، ٢٠١٢، ٥٤). إذ يشير النص إلى أحد الألعاب الشعبية القديمة التي كان الأطفال الصبيان يلعبونها في الشارع. كما نلاحظ كذلك لعبة (بعد شويّة للكعب) التي كان (جميل ربيع) يلعبها وهو صغير "إني ما زلت ألعب بعد شويّة للجعب. أمشي في الظلمة..." (نقاش، ٢٠١٢، ١٤٣). إذ تتلخص هذه اللعبة في أن الطفل يغمض عينيه ويسير نحو هدف متفق عليه، وهو ينادي (وصلنا لو بعد؟)، فيرد عليه باقي الأطفال العبارة المذكورة (ينظر: نقاش، ٢٠١٢، ١٤٣)، وأراد (جميل) من ذكرها لدلالة على استمرارية لعبه هذه اللعبة؛ بسبب فقدانه للبصر، إذ عبّر عن ألمه بوساطة هذه اللعبة بطريقة مختلفة. وأيضا نجد في الرواية نفسها لعبة (شقف لقف) "تال دنلعب شقف لقف" (نقاش، ٢٠١٢، ٥٦٦). وهي إحدى الألعاب الشعبية التي كان الأطفال يلعبونها في أربعينيات القرن الماضي، والتي لعبها (عيبة) و(مرودي)، وهي "عبارة عن إلقاء حصوات على الأرض يلتقط اللاعب حصوة منها ثم يقذفها في الهواء، ويحاول أن يلتقط بنفس اليد حصوة أخرى أو أكثر من حصوة من الأرض بسرعة، كي يتمكن من ثم التقاط الحصوة التي قذفها إلى أعلى ساعة هبوطها" (نقاش، ٢٠١٢، ٥٦٦)، فالراوي قد ذكر هذه اللعبة بوصفها موروثاً ثقافياً شعبياً مشتركاً.

ثالثاً / الهوية الوطنية

أما الهوية الوطنية فقد كانت هي الأخرى وسيلة لإثبات الذات وتأكيد الانتماء؛ لان "المرء لا يدرك أهمية هويته، إلا في لحظة مأزومة يواجه فيها المختلف. عندئذ يرتد إلى مكوناته الأصلية التي تمنحه الإحساس بوجوده، أي بتميزه واختلافه عن الآخر، فيحس بضرورة الحفاظ على هذه المكونات مهما كانت التحديات! إذ كلما احتدت المواجهة مع الغير زاد المرء تمسكاً بمكونات هويته وخصوصيته" (ماجدة حمود، ٢٠١٣، ١٣). وقد امتازت الرواية اليهودية بموضوع الهوية الوطنية وأصبحت المحور الرئيس في الرواية؛ لان الروائيين قد عانوا من تهجير قسري وشعروا بالاقتلاع؛ لأنهم منفيون. واتسمت الرواية اليهودية بالأهمية لما تحمله من حنين إلى الجذور، فوظف الروائي (سمير نقاش) صراع الهوية الوطنية عن طريق الحوادث التي مرّت بها الطائفة مثل: (الفرهود)، وقانون إسقاط الجنسية العراقية عنهم، والهجرة والتهجير، ولقد كان الروائي (سمير نقاش) "شديد الدقة في تصوير الاضطراب العاطفي للعراقيين بمختلف طوائفهم وقومياتهم، فالذي يقرأ أدبه يستغرب لهذا الحنين إلى العراق وبغداد،

بمحبة مفرطة... فكان يردد كلماته التي تعصر القلب لزملائه وأصدقائه وفي المقابلات الصحفية منها مع الكاتب خالد الشطري (كنت يهوديا عراقيا في بغداد، وأنا يهودي عراقي في إسرائيل)" (نبيل عبد الامير، ٢٠١٣، ١٨٥-١٨٦).

أخذت الهوية الوطنية حيزاً واسعاً جداً في روايات (سمير نقاش)، إذ نجد نصوص الحنين وحب الوطن بين سطور الروايات، ونرى البطل في هذه الروايات يعاني في المنفى من الفقد، والشتات، والاقتلاع، فنرى في رواية (نزوله وخيط الشيطان) أن (سلمان حشوة) يعاني من سلب حريته في تقرير مصيره "لقد رسموا مصيري لي.. رسموه في بغداد، وفي الأمم المتحدة، وفي إسرائيل. لكني وحدي لا اعلم ماذا سيكون مصيري" (نقاش، ٢٠١٢، ٤٣٧). إن (سلمان) يشير في النص إلى حال الطائفة اليهودية بعد قرار التهجير وإعلان مصيرهم باقتلاعهم وهجرتهم إلى إسرائيل.

ونلاحظ التفاخر والدفاع عن الهوية الوطنية عند (يعقوب) عندما خاطب (علوان) الذي اتهمهم بخيانة هذه الأرض "أني يهودي لكني لست بخائن.. كي اخون ارصا ممتزجاً بثراها رفات ابائي واجدادي؟!.. هذه الارض مصنوعة منا ياعلوان!... اني فيها قبلك ياعلوان.. اثنا عشر قرنا قبلك.. بل منذ بدا التاريخ" (نقاش، ٢٠١٢، ٣٧٨). جاء النص ليؤكد جذور الطائفة اليهودية في هذه الارض، وأنهم ليسوا بخونة، وكيف يخونون الأرض التي ترعاهم، وكان هذا المونولوج الداخلي لـ (يعقوب) أبرز رد للدفاع عن أنفسهم وعلى تأكيد هويتهم الوطنية.

وفي نص آخر يعلن (يعقوب) الثبات على هويته الوطنية "لعلي أفلست من أشياء كثيرة حقاً، لكني لن أفلس من هذا الشيء.. اخواني وحبي وتربة ابائي وجدودي.. وحتى لو بلغ حجم الهاوية بحراً من بغضاء، واقتلعت العين الماسية المتلألئة بالطهر، فأنا ثابت ياعلوان.. واذا ظلّ يهودي واحد في بغداد فاعلم إني هو يا علوان" (نقاش، ٢٠١٢، ٥٢١). إن (يعقوب) يثبت بأن جذورهم باقية حتى وإن اقتلعت من تربتها، ليؤكد الهوية الوطنية والانتماء إلى هذه الارض التي سكن فيها آباؤه وأجداده.

وتتفق مع هذا الرأي (لولو بنت مشييّاح)، التي ترفض أن تُهجر من الأرض التي دَفنت فيها زوجها وابنها "سوف أقول هذا حقي!.. والأرض ليست ارضكم بل هي أرض الله.. وفيها حياتي" (نقاش، ٢٠١٢، ٦٥٤). إن تأكيد الهوية الوطنية في رواية (نزوله وخيط الشيطان) جاء للدفاع عن الحقوق المشروعة، وإثبات أسبقية وجودهم التاريخي في أرض العراق مع باقي مكونات الأمة العراقية.

ونرى في رواية (الرجس) أن البطل يشير إلى فقدان الهوية والتشتت إشارة مقتضبة لكنها معبرة "نحن أناس من غير هويات" (نقاش، ٢٠١٣، ٢٠٩)، للدلالة على تشتت الطائفة بعد أن عاشوا تجربة التهجير المريرة، ويطلب الراوي بالمقابل أن ينالوا حقوقهم التي فقدوها، ويصبحوا مواطنين لهم حقوق وعليهم واجبات "نطلب أن نصبح مواطني العالم. لا حل إلا هذا. نلجأ للأمم المتحدة. نحن أناس لسعتهم حرب القوميات النكراء. ليكن موطننا هذا العالم" (نقاش، ٢٠١٣، ٢١٠). إن الراوي يحارب ويصارع من أجل الحصول على هوية تثبت وجودهم المنفي وتساويهم مع مواطني العالم، ولقد أشار الراوي في موضع آخر من الرواية إلى جنسية البطل عن طريق أحدى الشخصيات التي معه في السجن "أنت عراقي؟!.. وأنا أيضاً" (نقاش، ٢٠١٣، ٢٢٥). إن الراوي قد أبرز هوية (السجين) الوطنية التي لا يعلمها أحد على مدار الصفحات الأولى من الرواية، فجسدها الراوي بشخصية عراقية من أبناء الطائفة اليهودية، تعرضت للظلم والاضطهاد في السجون؛ لأنه عراقيٌ ويهوديٌ (ينظر: خالدة حاتم، ٢٠١٤، ٧٠)، وجاء الكشف عن الهوية لتأكيد الهوية الوطنية والانتماء إلى الوطن الأم العراق.

وفي رواية (عورة الملائكة) يحاول البطل أن يثبت هويته عن طريق اسمه الذي لم يبدله "أكرم الخياط الجزء اللامتجزئ من هويتي. ومحال أن استبدله كي أتجنب هذه المزالق والمشكلات. لقد لمع أكرم الخياط يوما ولهجت بذكره الألسن غابطة وغيورة، أو مباهية، أو مستنكرة، لكنها مجمعة على أن أكرم الخياط هو الأول على طلاب كل مدارس العراق ولم يكن أكرم الخياط مجرد لفظة يمكن استبدالها بلفظة أخرى. لقد كانت تعني إنسانا بذاته. هوية لها معالمها البارزة والخفية. تعني الأصل والفصل، والسن والجنس، ومحل الإقامة" (نقاش، ١٩٩١، ٢٢). إن النص يشير إلى إصرار البطل على عدم تغيير اسمه حتى وإن سبب له المشكلات؛ لأنه عربي ويقيم في إسرائيل، ويفتخر بهويته العراقية، التي تعني الانتماء إلى الأصل وتؤكد انتماءه لوطنه الأم، إذ كان الطالب المتفوق الأول في العراق، وفي إسرائيل لم ينل ما كان يطمح إليه، فرفضت أطروحته للدكتوراه عدة مرات؛ بسبب هويته العراقية وانتمائه الوطني.

وظهر صراع الهوية الوطنية في رواية (شلومو الكردي وأنا والزمن) في اللحظات الأخيرة، التي ودع بها (شلومو) صبلاخ قسراً "هذا هو القدر أيها الكردي العنيد. هم أرادوا لك أن ترحل حكامك والغرباء! كأنهم تآمروا عليك معا لتغادر مسقط الرأس الحبيب" (نقاش، ٢٠٠٤، ٣٥٢). يشير (شلومو) في هذا النص إلى اللحظات الأخيرة التي لا مفر منها، بعدما اتفق الشاهنشاه والروس والعثمانيون على تهجيره قسراً وعليه أن ويودع الأهل والأصحاب، الأحياء منهم والأموات في بلدته الحبيبة

(صبلاخ) الوداع الأخير؛ لأنه سيفترق عنهم فراقاً مهيناً "حتم انوفنا سنمضي، وحتم أنوفنا، لو اجتزنا الحدود سالمين، سنضحى حثالة من اللاجئين" (نقاش، ٢٠٠٤، ٣٥٣). إن (شلومو) يشير إلى فقدانهم الهوية واقتلاعهم من الجذور قسرا؛ بسبب مخططات سياسية اتبعتها حكومة الشاه لتشريدهم وتشتيتهم إلى مصير مأساوي؛ لأنهم أقلية مهمشة عانت التهجير القسري، الذي هو "ممارسة تنفذها حكومات أو قوى شبه عسكرية أو مجموعات متعصبة تجاه مجموعات عرقية أو دينية أو مذهبية بهدف إخلاء أراض معينة وإحلال مجاميع سكانية أخرى بدلا عنها" (عادل عامر، www.diwanalarab.com). وتُعد هذه الرواية وثيقة صارخة ضد الحروب وما تسببه من مآسٍ وويلات، وأثار نفسية وجسدية، وتنتقد كل من يرمي رعيته من غير مأوى، ويقتلعهم من جذورهم ويحرمهم من أبسط حقوقهم بالعيش الكريم، فإن (شلومو) يمثل الإنسان الذي يصارع من أجل هويته التي عن طريقها يثبت وجوده، فهو كلما وجد بلداً يلوذ به يُقتَلَع منه من جديد؛ بسبب هويته، وهذا يدل على عدم احترام مذهب الإنسان وهويته وحرية اختياره.

الخاتمة:

يتضح مما سبق أن صراع الهويات جاء في الروايات لإثبات الذات، بعدما فقدت الشخصيات هويتها؛ بسبب الهجرة والتهجير، فقدم الروائي صراع الهوية في الروايات كما أشرنا إليه على ثلاثة محاور الأول: يتمثل في الالتزام في بالموروث الديني، والثاني: التغني بالموروث الثقافي والتمسك باللغة العربية، والثالث: الحنين إلى الوطن الأم، وإثبات أحقيتهم بأرض الآباء والأجداد بحسب خطاب الروايات. كما نجد أن هذه الموضوعات قد أخذت مساحة كبيرة في الروايات، بل كانت هي الموضوع الرئيس الذي تدور حوله الأحداث، لما لهذه الموضوعات من أثر في نفس الروائي؛ لأنه قد عاش معظم هذه الأحداث وعاصرها واكتوى بنارها.

المصادر والمراجع:

اولا/ الروايات:

- الرجس، سمير نقاش، ط ١، منشورات الجمل، بيروت – بغداد، ٢٠١٣.
- شلومو الكردي وأنا والزمن، سمير نقاش، منشورات الجمل، كولونيا – ألمانيا، ٢٠٠٤.

- عورة الملائكة، سمير نقاش، ط ١، منشورات الجمل، كولونيا – ألمانيا، ١٩٩١.
- فوة يادم، سمير نقاش، ط ١، منشورات الجمل، بيروت – بغداد، ٢٠١١.
- نزوله وخيط الشيطان، سمير نقاش، ط ١، منشورات الجمل، بيروت – بغداد، ٢٠١٢.

ثانيا/ المصادر والمراجع:

- إشكالية الأنا والآخر – نماذج روائية عربية، د. ماجدة حمود، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠١٣.
- الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، غازي السعدي، ط ١، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، عمّان، ١٩٩٤.
- تجديد الوعي، أ.د. عبد الكريم بكّار، ط ١، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٠.
- دراسة في طبيعة المجتمع العراقي – محاولة تمهيدية لدراسة المجتمع العربي الأكبر في ضوء علم الاجتماع، د. علي الوردي، ط ١، ١٩٦٥.
- الروائيون العراقيون اليهود – دراسة في الثقافة والمتخيل والتجريب الروائي، د. خالدة حاتم علوان، ط ١، دار ميزوبوتاميا للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠١٤.
- السرد، والاعتراف، والهوية، د. عبد الله إبراهيم، ط ١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١١.
- سمير نقاش نقش عراقي في الذاكرة، إعداد وتحرير: مازن لطيف، مراجعة: د. سامي ابراهيم، ط ١، دار ميزوبوتاميا للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠١٥.
- من أرشيف العراق المنهوب – فصول من أبحاث ريادية عن يهود العراق، تحرير: مازن لطيف، مراجعة: د. سامي موريه، ط ١، دار ميزوبوتاميا للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠١٧.

❖ موقع الهوية – السلطة، الجسد، المكان، العنف، سعد محمد رحيم، ط ١، دار ميزوبوتاميا للنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠١٨.

❖ اليهود في العراق منذ السبي الأشوري والبابلي وإلى تهجيرهم القسري في منتصف القرن العشرين، نبيل عبد الأمير الربيعي، مراجعة: أ.د. سامي موريه، ط ١، دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان – بيروت، ٢٠١٣.

ثالثا/ المجلات العلمية:

❖ الملبس والهوية الثقافية بين الانتماء والاغتراب – رؤية انثروبولوجية، د. فؤاد غازي ثجيل، مجلة كلية التربية الاساسية، العدد ٧٧، ٢٠١٣.

❖ الموروث الثقافي العراقي في نتاجات أدباء يهود العراق، د. شيماء فاضل حمودي، مجلة رسالة المشرق، المجلد ٣٤، العدد ١، ٢٠١٩.

رابعا/ المواقع الالكترونية:

❖ شماع يسرائيل – شهادة التوحيد اليهودية،

https://hartaque-blog.tumblr.com

❖ مفهوم التهجير القسري في القانون الدولي العام، عادل عامر،

www.diwanalarab.com

Sources and references

1/ Novels:

1- alrajis, , Samir Nniqash, 1st edition, Camel Publications, Beirut - Baghdad, 2013.

2- Shlumu alkurdiu wa'ana walzaman, Samir Nniqash , Camel Publications, Germany Cologne, 2004.

3- Awrat Almalayika, Samir Nniqash, 1st edition , Camel Publications, Germany Cologne, 1991.

4- Fuatan ya dam, Samir Nniqash, 1st edition, Camel Publications, Beirut- Baghdad, 2011.

5- Nuzuluh wakhayt alshaytan, Samir Nniqash, 1st edition, Camel Publications, Beirut- Baghdad, 2012.

2/ references:

1- The Problem of the Ego and the Other - Arab Novel Models, Dr. Magda Hammoud, National Council for Culture and Arts, Kuwait, 2013.

2- Feasts, Occasions, and Rituals for the Jews, Ghazi Al Saadi, 1st edition, House of Galilee for publication, Aman, 1994.

3- Renewing Awareness, Dr. Abdul Karim Bakkar, pen house, Damascus, 2000.

4- A study in the nature of Iraqi society - a preliminary attempt to study the larger Arab society in the light of sociology, Dr. Ali Al-Wardi, 1st edition, 1965.

5- Iraqi Jewish novelists - a study in culture, imagination, and novelist experiment, Dr. Khaleda Hatem Alwan, 1st edition, Mesopotamia House for printing and publishing, Baghdad, 2014.

6- Narrative, recognition, and identity, Dr. Abdullah Ibrahim, 1st edition, The Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut, 2011

7- Samir Naqqash, an Iraqi inscription in memory, Mazen Latif, audit: Dr. Sami Ibrahim, 1st edition , Mesopotamia House for printing and publishing, Baghdad, 2015.

8- From the looted archives of Iraq - chapters of pioneering research on Iraqi Jews, Mazen Latif, audit:Dr. Sami Moreh, Mesopotamia House for printing and publishing, Baghdad, 2017.

9- Identity position - power, body, place, violence, Saad Mohammed Rahim, 1st edition, Mesopotamia House for printing and publishing, Baghdad, 2018.

10- The Jews in Iraq since the Assyrian and Babylonian captivity and to their forced displacement in the middle of the twentieth century, Nabil Abdel Amir, audit:Dr. Sami Moreh, 1st edition, Dar Al-Rafidain for Printing and Publishing, Beirut - Lebanon, 2013.

3/ Scientific Journals:

1- Clothing and cultural identity between belonging and alienation - an anthropological vision, Dr. Fouad Ghazi Thajeel, Journal of the College of Basic Education, the number: 77, 2013.

2- The Iraqi cultural heritage in the products of the writers of the Jews of Iraq, Dr. Shaima Fadel Hamoudi, The Message of the East magazine, folder: 34 , the number:3, 2019.

4/ websites:

1- Shemaa Yisrael - Certificate of Jewish Monotheism

https://hartaque-blog.tumblr.com

2- The concept of forced displacement in public international law, Adel Amer, www.diwanalarab.com